مكتبة الطفل العربي
١٤
البطَلُ الصَّغير
مَجدي صابر
دار الجيل

مَكتَبة الطّفل العَرَبي

(١٤)

البطَلُ الصَّغير

تأليف
مَجدي صَابر

دار الجيل
بيروت - القاهرة - تونس

تأليف : مَجدي صابر

هي مجموعة جديدة وشيقة من قصص الأطفال، كُتبتْ بأسلوبٍ أدبيٍّ ممتاز، يمتزجُ فيها الخيالُ مع الواقع.. والحلمُ مع الحقيقة، لتصنَعَ عالماً أخاذاً مُبهراً، يناسبُ عقلَ وسِنَّ قارِئها الصغيرِ، ويَفتح أمامَ عينيه أبواباً لا حصرَ لها من المعرِفةِ والقِيَمِ التربويةِ والأخلاقِ النبيلةِ.

ونحن نفخرُ بأن تؤدي هذه المجْمُوعةُ القَصَصِيّةُ المَكْتوبةُ والمُخْتارةُ بِعِنايَةٍ بالِغةٍ، الغَرضَ منها تماماً، وتُحاوِل أن تَسدّ بعض النّقصِ في مكتبةِ الطِّفلِ العربيّ، دونَ أن تَسْتهينَ بِعقلهِ، أو تَتخطى قِيَمه وعاداته.

ونَأملُ أن نَكونَ قد حَقّقْنا الهَدَفَ الّذِي نَرْجُوه من إصْدارِنا لهذه المَكتبةِ، وأن تَحْتلَ قِصَصُها مكانها اللائق في مكتبةِ كلّ طفلٍ عربيّ.

البطَلُ الصَّغير

عـاشَ تاجِـرٌ فِي إحْدَى مُـدُنِ فـارِس، وكـانَتْ لَـهُ تِجـارَةٌ واسِعَـةٌ ومالٌ كَثيـرٌ، فحَمدَ اللَّهَ على نِعْمتـهِ، وتَصدَّق مِنْهـا عَلَى كلِّ فَقيرٍ ومُحْتاجٍ ، حتَّى أحبَّهُ أهْلُ المَدينَـةِ حُبًّا كَبيـراً. وزادَ الله لَهُ فِي بِضاعتِهِ وتِجارتِهِ وصحّتِه.

وكَـان لِهَذا التّـاجِرِ آبْنـةٌ جَميلَةٌ، شَديـدةُ الحُسْنِ، فـاتِنَـةُ الجَمالِ، أسْماهـا «شيريهـان»، وربَّاهـا عَلَى جَميلِ الخِصـالِ وكَمالِ الأدبِ والأخْلاقِ، فكُلُّ مَنْ رآها سبَّحَ الله عَلَى آكْتِمالِ صُنعِهِ، وكلُّ مَنْ آسْتَمعَ إلَيْها أو ناقَشَها، أُعْجِبَ بِـرجاحَـةِ عَقْلِها وتَمامِ أدَبِها.

وكانَتْ «شيريهان» كَٱلْبَدْرِ المُنيرِ فِي اللَّيْلةِ المُظْلمَةِ، فـإذا سـارَتْ مع والِـدِها وسطَ الـدُّروبِ أو الأسْـواقِ، تَـطلَّعَتْ إلَيْهـا العُيونُ مُعْجَبةً بِجمالِها، مَبْهورَةً بِحُسْنِها.

وكَانَ لِلتّاجـرِ الثّريِّ ٱبْنٌ صَبيٌّ شَقيقٌ «لِشيـريهان»، وكـانَ صبيًّا ذَكيًّا، شَديدَ الجُرْأةِ واسِعَ الحيلَةِ بِـٱلرّغْمِ من أنّ عُمـرَه لَمْ يَزِدْ عن عَشْرِ سَنَـواتٍ، وكانَ ٱسْمـهُ «حَسَن». وكانَ والِـدُهُ يُعِدُّه لِيَرِثَ مالَهُ وبِضاعتَهُ منْ بَعْدِهِ، وَيَأْخذُهُ مَعهُ فِي رحلاتِهِ، ويُشْركُـهُ فِي صفقـاتِهِ، ويُعْلِمُـهُ بِحساباتِهِ، بِـٱلرّغمِ مِنْ سنِّـهِ الصَّغيـرَة. ولَكِنَّ عقْلَ «حَسَن» الذَّكيِّ كانَ يَسْتوعِبُ كـلَّ ذَلِكَ، ويُبْـدي مِنَ الآراءِ ما يُدهِشُ والِدَهُ، ويُحَيِّرهُ.

وكانَ النّاسُ يَحْسدونَ التّاجِـرَ الثَّريّ، فِي غيـرِ كُرهٍ، عَلَى جَمـالِ ٱبْنتِهِ، وذكـاءِ ولِدِه، وكثـرَةِ مالِـهِ، فكـأنَّ السَّعـادةَ كلَّهـا ٱكْتَملَتْ لَهُ.

وذاتَ يَـوْمٍ نزلَ إلَى المَـدينَةِ، قـادِمـاً منَ البَحْـرِ، رَجُـلٌ شَديدُ السَّوادِ، بَشِعُ الخِلْقةِ، وجْههُ مَليءٌ بِـٱلجرُوحِ والنُّـدوبِ، وأنْفهُ أفطَسُ، ومَشْقوقُ الشَّفةِ السُّفْلى، ويضَـعُ عَلَى عَيْنهِ اليُمْنى

عِصابةً، ويتمنطَقُ فِي وَسطِهِ بِحزامٍ، يَتدلَّى مِنْهُ سَيْفٌ مُرصَّعٌ بٱلجَواهِرِ واللآلئ، ووكانَ لَهُ الكثيرُ مِنَ الأتباعِ، مِمَّنْ هُمْ عَلَى شاكلَتهِ، يَبْدو الإجْرامُ فِي مَلامِحهِمْ، وتَبينُ الجُرْأةُ عَلَى وجُوهِهِمْ، ويَحْمِلونَ كلُّهم السُّيوفَ والبُلَطَ فِي أحْزمَتِهِمْ، ويُنْفِقونَ مِنَ المالِ الكثيرَ الكَثيرَ، كأنَّ سيّدَهُمْ وزيرٌ أو عَظيمٌ.

ولَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الرَّجلُ الأسْودُ إلاَّ قُرْصاناً مُجْرِماً، خارِجاً عَلَى القانُونِ ويُدْعَى «القُرْصانَ الأسْودَ»، وَكانَ يَمْتلِكُ وعِصابَتهُ مِنَ المُجْرمينَ سَفينَةً كَبيرَةً سَريعَةً، تَنْطلِقُ فِي البَحْرِ كأنّها سَهمٌ، وتزُوغُ مِنَ العاصِفةِ كأنَّها شَبَحٌ، وتنقضُّ عَلَى السُّفُنِ الأُخْرَى كأنّها صاعِقةٌ. فقَدْ كانَ القُرصانُ الأسْودُ وعِصابتُهُ مِنَ القَراصِنَةِ، مِنْ أخْطرِ منْ عَرفَتهُمْ البِحارُ البَعيدَةُ مِن المُجْرمينَ، إذْ كانُوا يَكمنُونَ لِلسفُنِ المُحمَّلَةِ بٱلبَضائِعِ والمالِ، بَيْنَ الخلْجانِ وأرْكانِ البِحارِ، ثُمَّ ينقضُّونَ عَلَيْها فِي غَفْلَةٍ، ويَمطُرُونَها بِرصاصِهِمْ وطَلَقاتِ مَدافعِهِمْ، فَيحِلُّ الاضطرابُ بٱلسَّفينَةِ المَنكوبَةِ، وتوشِكُ عَلَى الغرقِ، فَتُسْرِعُ عِصابةُ القُرصانِ الأسْودِ إلَى ٱقْتِحامِها، ويَسْتَولونَ عَلَى ما بِها، ويَقتلُونَ مَنْ فِيها، ويَتركُونَ السَّفينةَ تغرَقُ مُحترِقةً، ويَفرُّون بِغنيمَتِهِم.

وكانَ القُرْصانُ الأسْودُ يَزورُ تِلكَ المَدينةَ الفارِسيةَ لأوّلِ مَرَّةٍ، قادِماً مِنْ بِلادٍ بَعيدَةٍ، ولِذَلِكَ لَمْ يَعْرِفْهُ أحَدٌ مِنْ سُكّانِ المَدينَةِ، أوْ يُدرِكوا خطَرَهُ، وشرَّ عِصابتِه.

عِنْدَ الظُّهرِ راحَ القُرْصانُ الأسْودُ ورِجالُهُ، يَسيرونَ فِي الأسْواقِ، يَبيعُونَ بَعضَ ما غَنِمُوه مِن معارِكِهم السَّابقةِ، عِنْدَما وقَعَتْ عَيْنُ القُرْصانِ الأسْودِ البَشِعِ الخِلْقةِ عَلَى «شيريهان»، وكانَتْ تَسيرُ بِصحْبَةِ والِدِها فِي السُّوق.

وعِنْدَما شاهَدَ القُرْصانُ الأسْودُ آبْنَةَ التّاجرِ الحَسْناءَ، فَتَنهُ جَمالُها وأسرتْهُ رقتُها وعُذوبَتُها.

وقالَ لِرجالِهِ مَبْهوراً: «ما أجْملَ تِلكَ الفَتاةَ، فإنَّني لَمْ أشاهِدْ مَنْ هِيَ أجْملُ مِنْها أبَداً، فِي كُلِّ البِلادِ الَّتي زُرْناها، والسُّفنِ والمَراكِبِ الَّتي نَهَبْناها».

وعَبثَ بِلِحيتِهِ الخَشنةِ القَبيحَةِ الشَّكلِ وقالَ: «سأتَزوَّجُها، وسأدْفَعُ لأبيها مِنَ المالِ والجَواهِرِ ما يَملأُ مائةَ سَلَّةٍ، وأيُّ رَجُلٍ عاقِلٍ لا يُمْكِنُ أنْ يَرفُضَ مِثْلَ هَذا القَدْرِ مِنَ المالِ، ثَمناً لِزواجِ آبْنتِه».

وٱتَّجهَ مِنْ فَوْرهِ إِلَى حانُوتِ والدِ «شيريهان»، وكانَتْ هِيَ بِٱلدَّاخِلِ، وعِنْدَما شاهَدتِ القُرْصانَ الأسْودَ، هالَها مَنظَرُهُ وأَفْزَعَتْهَا بَشاعَةُ خِلْقَتِهِ، ولَمْ تَحْتمِلِ النظَرَ إلَيْهِ، فأسْرَعَتْ إلَى أَحَدِ أرْكانِ المَتْجرِ، وٱخْتَفتْ عَنِ الأنْظار.

وسألَ التَّاجِرُ القُرْصانَ: «ماذَا تُريدُ يا سيِّدي، وأيَّ نَوْعٍ مِنَ البضاعَةِ ترغَبُ فِي شَرائِه؟»

أجابَهُ القُرْصانُ بِغلاظةٍ: «لَقدْ جِئْتُ لِشراءِ ٱبْنتِكَ الجَميلَةِ».

بُهِتَ التَّاجِرُ وقالَ غاضِباً: «ماذا تَقولُ أيُّها الرَّجلُ، وهَل ٱبْنَتي جارِيةٌ لِلبَيْع؟»

أجابَهُ القُرصانُ: «إنَّني أرغَبُ فِي الزَّواجِ مِنْها، ومَهْما طَلَبْتَ مِنْ مالٍ فسأهبهُ لَكَ، ولَوْ كانَ مائةَ سلَّةٍ مِنَ الجَواهِرِ والذَّهبِ واللآلئ».

صاحَ فيهِ التَّاجِرُ بِغضَبٍ أشدَّ: «أُخرجْ مِنْ دُكَّاني أيُّها الوقِحُ وإلَّا ٱسْتدعَيْتُ لَكَ الشُّرطَةَ، فإنَّني لا أزوجُ ٱبْنَتي مِنْكَ، ولَوْ جِئْتَ لِي بِكُلِّ لآلئ وجَواهِرِ العالَم».

غَضِبَ القُرْصانُ الأسْودُ، وغلَتِ الدِّماءُ فِي عُروقِهِ، وخَرجَ مِنَ الحانُوتِ بِدُونِ أنْ يَنطِقَ، وأرْسلَ رِجالَه فِي كُلِّ الأنْحاءِ يَسْتَقصونَ ويَسْألونَ. فعادُوا بَعْدَ وَقْتٍ وأخْبَروا رئيسَهمْ، أن التَّاجِرَ الثَّريّ، لا يُريدُ أنْ يزوجَ ٱبْنتَهُ إلاَّ مِنْ أميرٍ، ولَوْ كانَ فَقيراً.

فَصمتَ القُرْصانُ ولَمْ يَنطِقْ، وأمرَ رِجالَهُ، فَعادُوا إلَى سَفينتِهِمْ، وغادَرُوا المَدينَةَ فِي نَفْسِ اللَّيْلَة.

* * *

وبَعْدَ أيّامٍ قَليلَةٍ كانَ يَزورُ المَدينَةَ أميرٌ عَظيمٌ، قادِمٌ مِن بِلادٍ بَعيدَةٍ هُوَ الأميرُ «عز الدِّين»، ورسَتْ مَراكبُهُ وسفنُهُ عَلَى شاطئِ المَدينَةِ، بعدَ سفرٍ طَويلٍ. وأرادَ الأميرُ الرَّاحةَ أيّاماً قَليلَةً، قبلَ معاودةِ السَّفرِ والإبحار عَائِداً إلَى بِلادِهِ، جِهةَ الشَّمال.

وذاتَ صَباحٍ كانَ الأميرُ يتريَّضُ عَلَى الشَّاطِئِ وحْدَهُ، وشاءَ حظُّه أن يُصادِفَ «شيريهان»، وقَدْ خرجَتْ تَفْعَلُ نَفسَ الشَّيءِ، فقدْ كانَتْ تُحِبُّ أن تُشاهِدَ شُروقَ الشَّمسِ مِنَ الشَّاطِئِ كُلَّ صباحٍ.

وعِنْـدَما وقـعَ بَصرُ الأميـرِ «عز الـدِّين» عَلَى «شيريهـان»، خلَبتْ لبَّهُ، وأسرتْ قَلْبَهُ، ولَمْ يَستطِعْ أنْ يُحوِّلَ عَيْنيهِ عَنْها لِشدَّةِ جَمالِها، فَٱرتَبكتْ «شيريهـان» وعادَتْ إِلَى مَنْـزِلِها فِي خَجـلٍ، وقَلْبُها يدقُّ فِي ٱضْطرابٍ.

وأرْسـلَ الأميرُ الـرسُلَ، فَعـادوا بِٱلأَنْبـاءِ، عَنْ فتـاتِـهِ الَّتي أحبَّهـا مِنَ النَّـظْرَةِ الأُولى، وعَنْ والِـدهـا، الَّـذي لا يَـرغَبُ فِي تَزويجِها إلاّ مِنْ أميرٍ، ولَوْ كانَ فَقيراً.

سرَّ قلبُ الأميرِ «عز الدِّين» وقالَ: «ها قَدْ جاءَ الأميرُ الَّذي سَيَتـزوّجُ سِتَّ الحُسْنِ والجَمالِ، ولَكنَّـهُ لَيْسَ أميراً فَقيـراً، بَـلْ أميراً ثريًّا كَرِيماً، لَمْ تَشْهدِ البِلادُ مَنْ هُوَ فِي مَجدِهِ أو عَظمته».

وفِي الحـالِ سيّرَ مَـوْكِبـاً إِلَى بَيْتِ التَّـاجِـرِ، قِـوامـهُ ألفُ جَوادٍ، تَحمِلُ فوقَ ظُهورِها الهَدايا والنَّفائِسَ والجَـواهِر. وتقـدَّمَ الأميرُ «عز الدِّين» طالِباً يدَ «شيـريهان»، فسَعـدَ والِدُهـا وٱستشارَ ٱبنَتهُ، فَوافقتْ فِي الحالِ، فقدْ مـالَ قَلْبُها أيْضـاً إِلَى الأميرِ منـذُ اللَّحْظةِ الأُولَى.

وخطبَ الأميرُ «عز الدِّين» مَحبوبَتَهُ «شيريهان» ، وأقامَ لَيْلَةً عظيمَةً ، دَعا إلَيْها كُلَّ أهْلِ المَدينَةِ ، وآسْتضافَهُمْ عَلَى نفقَتِه ، وأطْعَمهُمْ وسَقاهُمْ ، حتَّى تحدَّثَ كلُّ النَّاسِ عَنْ كَرمِهِ ومُروءَته .

وبَعْدَ مُرورِ عِدَّة أيَّامٍ ، قالَ الأميرُ لِخَطيبَتِهِ : «إنِّي مُضْطرٌّ لِلسَّفَرِ فِي الحالِ ، فبِلادي لا تَحْتمِلُ وجُودي بَعيداً عَنْها ، ولِذَلِكَ سأسبِقُكِ إلَى هُناكَ ، فأُعِدَّ قَصْراً فاخِراً يَليقُ بِك ، وأُهَيِّئَ لَنا كُلَّ ما يَلزمُ لِلزَّواجِ » .

أجابَتهُ «شيريهان» : «سَوْفَ ألْحَقُ بِكَ بَعْدَ شَهْرٍ ، أكونُ قضيتُهُ فِي تَوْديعِ والِدي . وبَعْدَ قَليلٍ رفَعَتْ مَراكِبُ وسفُنُ الأميرِ «عز الدِّين» مَراسيَها ، عائِدَةً إلَى بِلادِها ، بَعْدَ أن طلَبَ الأميرُ ، مِن قائِدِ بَحارَتِهِ وضبَّاطِهِ ، أنْ يَبْقَى فِي سَفينَةٍ عَظيمَةٍ لَهُ ، قِوامُها مائَةُ ضابِطٍ وخَمسمائةِ بَحَّارٍ ، لِيَكُونُوا فِي خِدْمَةِ خَطيبَتِهِ ، فترحَلَ عَلَى السَّفينَةِ عِنْدَ آنْقضاءِ الشَّهْر .

* * *

ومرَّ الشهْرُ سَريعاً ، فآستعدَّتْ «شيريهان» لِلسَّفَرِ ، وآصْطحَبَتْ مَعَها أخَاها «حَسَن» ، لِيَكونَ سميرَها فِي سَفرِها

وأنيسَها فِي رِحْلتِها، وأوْصَى الوالِدُ ولدَه «حَسَن» قائِـلاً: «فَلْترعَ أختَكَ أثناءَ الرحْلةِ، حتَّى تصِلَ إلَى بِـلادِ خَطيبِهـا الأميرِ سـالِمَةً آمِنَةً».

أجـابَـهُ «حَسن»: «لا تَخْشَ شَيْئـاً يـا والِـدِي، واَعْتمِـدْ عَليَّ».

وركبَتْ «شيريهان» وأخُوها سفينَةَ الأميرِ، ولوَّحا لِوالدِهِمـا مـودِّعينَ، والدُّمـوعُ فِي عَيْنَيْهِما، ثمَّ أبْحَـرتِ السَّفينَـةُ وغـادَرتْ شاطِئَ المَدينَةِ إلَى البَحْرِ العَظِيمِ، جِهةَ الشَّمال.

وسألَ «حسَن» قائِـدَ السَّفينةِ عَنْ مَـوعدِ وصُـولِهِمْ إلَى بِلادِ الأميرِ فأجابَهُ: «إذا ساعَدتْنا الرِّياحُ وحالَةُ البَحْرِ، يُمكنُنا أنْ نَصِلَ خِلالَ شَهْرٍ».

سألَهُ «حَسن»: «وهَلْ يمكِنُ أن يحدُثَ ما يعطِّلنا؟»

أجابَهُ القائِدُ: «قَدْ تهبُّ الرِّياحُ أحياناً، أو تَثورُ العَـواصِفُ فَيتأخَّرُ وصُولُنا أيّاماً، ولَكِنْ لا خَوْفَ عَلَى سَفينَتِنا مِنَ العَـواصِفِ والـزّوابعِ مَهْمـا كانَتْ، لِأنَّ سَفينَتنـا كَبيرَةٌ قـويّةٌ، تتحمَّـلُ أعتَى العَواصِفِ والأنْواء».

ومـرَّتِ الأيامُ الأولَى مِنَ السَّفَـرِ فِي البَحْرِ بِـلا سُوءٍ، فَـلا رِياحَ قَويّةً، ولا عَواصِفَ ولا أنـواءَ، بَلْ كـانَتِ الشَّمْسُ ساطِعَـةً لَطيفَةً، والبَحْرُ هادِئاً كَرِيماً، والرِّيحُ رقيقَةً ناعِمةً.

وذاتَ نهارٍ كانَ «حَسن» يصيدُ بِصنارتِهِ مِنْ مكانِهِ فِي ظَهْرِ السَّفينَـةِ، عِنْدَمـا شاهَـدَ دُلفيناً صَغيـراً، لا يَزيـدُ طولـهُ عَلى مترٍ وعمرهُ عامانِ، يَسبَحُ آمِناً مُطْمَئِنًّا بِجوارِ السَّفينةِ منذُ الصَّباحِ كأنّه يرافِقُها أوْ يُرشِدُها.

وألْقَى عَلَيْـه أحَدُ البَحّـارةِ الشِّباكَ فـاصْطادَهُ، ورفَعَـهُ إِلَى سَطحِ السَّفينَةِ، فَتجمَّعَ حَوْلـهُ البَحّارةُ والضُّبـاطُ مُبْتهِجينَ. وقالَ البَحّار الَّذي اصْطادَ الدُّلفينَ: «فَلْنسـرعْ بِذَبْحِـهِ وسَلْخِهِ وشيِّـهِ، فإنَّ لَحمَ الدَّلافينِ لَذيذُ الطَّعْمِ يَمنحُ الصِّحَّةَ لِمنْ يأكلهُ».

وكـانَ الـدلفينُ الصَّغيـرُ المِسْكينُ يُـطلِقُ صَيْحـاتِ ألمٍ خـافِتـةً، وهُـوَ سَجينٌ وسطَ الشِّبـاكِ، وتـطلُّ مِنْ عَيْنيـهِ نَـظراتٌ مَذعُورَةٌ. فأسْرعَ «حَسن» نَحْوَ البَحّارِ وقالَ لَهُ غاضِباً: «هَـلْ أنْتَ قاسِي القَلْبِ إلَى هَذا الحَدِّ، إنَّ الدلافِينَ مَخلُوقاتٌ رَقيقَةٌ طيِّبةٌ، وهِيَ رَفيقةٌ للإنْسـانِ ولَيْسَتْ كَبقيَّةِ الأسْمـاكِ كَما تَقـولُ القِصصُ والحِكاياتُ، فَلا يصحُّ ذَبْحُها وأكْلُها».

إعْترضَ البَحّارُ وأصرَّ عَلَى ذَبْحِ الدُّلفينِ أو تَقاضِي ثَمنـهِ، وقالَ مُحْتجًّا: «ما هُوَ إلَّا سَمَكةٌ كَبقيَّةِ الأسْماكِ». فَخلعَ «حَسن» خاتماً ثَميناً مِن يَدِهِ وأعْـطاهُ لِلبحَّارِ ثَمنـاً للدُّلفينِ، ثمّ حملَهُ فوقَ ذراعَيْـهِ وربتَ عَلَيْـه وقـالَ لَـهُ: «لا تَخْشَ شَيْئـاً أيّهـا الـدُّلفينُ الطيِّبُ، سوْفَ أعيدُكَ إِلَى والِدَيْكَ ومَمْلَكتكَ فِي البَحْرِ».

وألْقَى «حَسن» بِالدلفينِ فِي المـاء. وما إنْ لامَسَـهُ، حتَّى غـاصَ فيهِ سَـريعاً، ثُمَّ أطـلَّ بِـرأسـهِ بَعْـدَ لَحْـظةٍ وأخـذَ يُـطلِقُ صَيْحاتٍ حادّةً كأنّهُ يَشْكرُ «حَسَن»، ثمَّ راحَ يَقفِزُ قفـزاتٍ بَهْلوانيَّةً عَجيبَةً فِي الهَواءِ كأنَّما يَفعـلُ ذَلِكَ تَحيـةً لِمنقذِهِ، ثمَّ غـاصَ فِي الماءِ ولَمْ يظهَرْ بَعْدَ ذلِكَ.

وبَعْدَ قَليلٍ جاءَ أحَدُ الضُّباطِ إِلَى القائِـدِ، وقالَ لَـهُ قَلِقاً: «سَيِّـدي القائِـدُ، إن هُناكَ سَفينَـةً كَبيرَةً تَتبعُنـا مُنْذُ خُـروجِنـا مِن المِيناء».

قـالَ القائِـدُ: «لَعلَّها مُسـافِرةٌ إِلَى نَفْسِ وِجهَتِنـا، ولِذَلِـكَ تَتْبَعُنا عَنْ بُعْدٍ».

وألْقَى نَـظْرةً بِمِنْظارِهِ المقـرِّبِ، فَشـاهَـدَ سَفينَـةً كَبيـرَةً لا تَحْمِـلُ عَلَماً، ولا يُـوجَـدُ فَـوقَ سَـطْحِها غَيْـرُ عَـددٍ قَليـلٍ مِنَ

البحَّـارةِ، لا يثيرُ مَنْـظَرُهُم الاشْتباه. فقـالَ: «إنّهـا تَبْـدُو سَفينَـةَ بَضائِعَ عائِدةً مِن رِحْلَةٍ تِجاريَّةٍ، فَلا تَخشَوْا شَيْئاً مِنْها».

وآسْتَمرَّتِ السَّفينَةُ فِي رِحْلَتِها، ولَكِنْ قَلْبُ «حَسن» أحسَّ بِـآلخَطرِ، ونـظَرَ تجاهَ السَّفينَـةِ البَعيدَةِ فَتـزايَدَ إحْسـاسهُ بِـآلخَطرِ وتضاعَف.

* * *

وكـانَ «حَسن» مُحقًّـا فِي قَلقِـهِ وخَـوفِـهِ.. فَلَمْ تَكُنْ تِلكَ السَّفينَـةُ غَيرَ سَفينَـةِ القُرْصـانِ الأسْودِ وعصـابَتِهِ، بعْـدَ أنْ أنزلُـوا عَلَمَها، وآخْتَفى أغْلَبهُمْ فِي قَلْبِها، حَتَّى لا يُثيرُوا الشَّكَّ فيهِم.

فَعِنْدَما غادَرَ القُرْصانُ الأسْودُ وعِصـابتهُ المِينـاءَ، كانُـوا قَدْ كَمنُوا قَريباً يَنْتظرونَ فرصةً مُناسِبةً لِخَطْفِ «شيريهـان». وبَعْدَ أنْ وصـلَ الأميرُ «عـز الدِّين» وخَـطبَها، قـرَّرَ القَراصِنَـةُ خَطْفهـا فِي البَحْـرِ، عِنْدَ سَفَـرِها للَّحـاقِ بِخطيبِهـا. ولِذَلِـكَ طاردَ القَـراصِنةُ سَفينَةَ الأميرِ عَنْ بُعْدٍ، إنْتظاراً لِلَّحْظةِ المُناسِبـةِ لِيَشنُّوا هُجـومَهُمْ عَلَى سَفينَةِ الأمير.

وكـانَ ظلامُ تِلكَ اللَّيْلةِ حَـالِكـاً، فَـلا قمـرَ ولا نُجـومَ فِي السَّماءِ، كَما كانَ سَطْحُ البَحْرِ معتماً لا يبينُ مِنْه شَيْءٌ. وأخذَتِ

الـرِّيـاحُ تهبُّ بِقـوَّةٍ، فيَصـدرُ عَنْهـا زَفيـرٌ وصَفيـرٌ، وبَـدأ البَحْـرُ يضْـطرِبُ، فـآرْتفعَتْ أمـواجُـهُ، وظهَــرَ أنّ هُنـاكَ عــاصِفَـةً فِي الطّريق.

قـالَ القُرْصـانُ الأسْودُ بـآبْتِهاجٍ : «هـا قَدْ جـاءَتِ اللَّحْظةُ المُناسِبةُ لِشنِّ هُجومِنا، فَلَنْ يَحسَّ بَحارَةُ سَفينَةِ الأميرِ وضبّاطُهـا بآقترابنا بِسببِ العاصِفَةِ والظَّلام».

وآنْتظرَ القَراصِنَـةُ قَلِيلاً إِلَى أن آشْتـدَّتِ العاصِفَـةُ، فَزادُوا مِنْ سُـرعَتهِمْ، حتّى لَحِقوا بِسفينَـةِ الأميرِ، بِـدُونِ أنْ يحِسَّ أحَدٌ بآقْترابِهِمْ.

وبَعْـدَ لَحْظةٍ دوت مَـدافِعُ القَـراصِنَةِ، وآنْهـالَتِ القـذائِفُ عَلَى سَفينَـةِ الأميرِ «عـز الدِّين»، فـآشْتعَلتِ النِّيـرانُ بسـطْحِهـا، كـأنّما آنْفَتحَتْ عَلَيْهـا أبْوابُ الجَحيم. وتَـدافـعَ بَحـارَةُ السَّفينـةِ وضبـاطُها فِي فَـزعٍ ، وقدْ شلَّتهُم المُبـاغَتـةُ وأعمـاهُم الـظَّلام. فآضْطربَ نِظامهُمْ، وتفرَّقَ شَمْلهُمْ، وعِنْدَما حاوَلُوا المُقاومةَ كانَ الأوانُ قدْ فاتَ، فَقـدْ مالَتِ السَّفينـةُ عَلَى جَنبِها وبـدأتْ تغْرقُ، والنَّارُ ممسكةٌ بِها مِنْ كُلِّ أرْكانِها.

وٱنْـدفَعَ القَـراصِنَـةُ نَحْـوَ سَفينَـةِ الأميـرِ حـامِلينَ سُيـوفَهُمْ وبلطَهُمْ وهُمْ يَصرخونَ فِي توحُّشٍ ، وكلُّ من صـادَفَهُمْ أطاحُـوا بِهِ وقَتَلوهُ، أوْ ألقُوهُ فِي البَحْر.

وكانَتْ «شيريهان» وأخوها «حَسن» واقِفَيْنَ فِي فَزعٍ ، وقـدْ أدْرَكا سرَّ ما يَحْدثُ، كَمَا عَلِما أنَّ السَّفينَـةَ الَّتي كَانَتْ تـطارِدهُمْ عَلَى البُعْدِ ما هِيَ إلاّ سَفينَةُ قَراصِنَةٍ، يَقودُها القُرْصانُ الأسْود.

وأمْسكَ «حَسن» سَيْفاً ثَقيلاً، لِيُدافِعَ بِهِ عَنْ أختِـهِ، وتلقَّى أولَ القـراصِنَةِ فصـرَعَهُ بـٱلسَّيْفِ، ثمَّ ٱحْتالَ عَلَى الآخـرِ ودفعَـهُ بِسنِّ سَيْفـهِ فألْقـاهُ فِي البَحْر. وٱنْـدفَـعَ القُـرْصـانُ الأسْـودُ نَحـوَ «حَسن» غاضباً، وبِضربَةٍ واحِـدَةٍ مِنْ سَيْفهِ أطـاحَ بِسَيْفِ «حَسَن» فِي البَحْرِ، ثمَّ ضربَهُ بِرأسِهِ ضربةً قَويّةً فترنَّـحَ «حَسن»، وغامَتْ عَيْناهُ، وسقَطَ فِي البَحْرِ فاقِدَ الوعي.

صرخَتْ «شيريهان» فِي فَزعٍ عَلَى أخِيهـا، وأخَذَتْ تَبْكي وهِيَ بِلاَ حِيلَةٍ ولا قُوَّةٍ، فٱنْدفَـعَ إلَيْها القُـرْصانُ الأسْـودُ وحَملَها فَوْقَ كتفِهِ وقفزَ بِها إلَى سَفينَتِه.

وفِي الحـالِ إبْتَعدتْ سَفينَـةُ القراصِنَـةِ بَعْدَ أنِ ٱخْتـطَفتْ «شيريهان». أمَّا سَفينَةُ الأميـرِ فَقَدْ غَـرِقتْ بِكُلِّ مَنْ فِيهـا، ما بَيْنَ

قَتيلٍ وجَريحٍ . . فـٱبْتلَعَهُم اليَمُّ فِي دَقـائِقَ قَليلَةٍ، وٱنقضَّتِ الأسْمـاكُ المُتـوحِّشـةُ تَلْتَهمُ مَنْ بَقي مِنْهُم حيًّا. ولَمْ يبقَ عَلى سَطْحِ الماءِ فِي مكانِ المَعْركةِ، غَيرَ بقعَةٍ مِنَ الخَشَبِ المُحطَّمِ مكانَ السَّفينَةِ الغَريقَة.

أمَّا سَفينَةُ القَراصِنَةِ فٱبْتَعدَتْ فِي الظَّلامِ، حتَّى غابَتْ عَنِ الأنْظار.

* * *
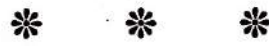
أخذَ «حَسن» يَغوصُ بِبُطْءٍ فِي المـاءِ وهُوَ فـاقِدُ الـوعْيِ لا يحُسُّ حَوْلَهُ بِشَيْءٍ، وٱنْدفَعَ مِنْ قَلْبِ المـاءِ دُلفينٌ صَغيرٌ بِسُـرْعَةٍ كَبيرَةٍ مُقْترِبـاً مِنْ «حَسَن»، فَرفَعَـهُ فَوْقَ بَـدنِه، وصَعِـدَ بِهِ لِأعْلَى ومدَّدهُ فوْقَ سَطْحِ الماءِ، وأخذَ يَضربهُ ضَرباتٍ خَفيفَةً حَتَّى ٱنْتبهَ «حَسن» مِنْ إغْمائهِ وأفاق.

وتَلفَّتَ حَسَن حَـوْلَهُ فَتـذكَّرَ مـا حَدثَ، وشـاهَـدَ الـدُّلفينَ الصَّغيرَ يَسْبحُ حَولَهُ فِي دائِرةٍ، فَتعرَّف عَلَيْهِ، وعرفَ أنَّـهُ الدُّلفينُ الَّذي أنْقذَهُ مِنَ المَـوْتِ، فربتَ عَلَيْـهِ شاكِـراً وقالَ: «شُكـراً لكَ أيُّها الصَّديقُ الوفي».

فأطلقَ الدُّلفينُ صِياحاً سَعِيداً. وآمْتلأتْ عَيْنا «حَسن» بِآلدُّموعِ وقالَ: «لَقَدِ آخْتطَفَ القَراصِنَةُ أُخْتي، ولا أَدْري كَيْفَ سأنقذُها أوْ ألْحقُ بِسَفينَةِ القَراصِنة». أطْلقَ الدُّلفينُ صَيْحةً أُخْرى، كأنّهُ ينبِّهُ «حَسن» إِلَى شَيْءٍ غابَ عَنْهُ، ثُمَّ غاصَ تَحْتَ الماءِ ورفَعَ «حَسَن» فَوقَ ظَهْرِهِ، وآنْدَفَعَ فِي أثرِ سَفينَةِ القَراصِنَةِ، فآبْتَهجَ «حَسَن» وهتَفَ: «يا لَهُ مِن حَلٍّ لَمْ يخطُرْ بِبالِ إنْسانٍ.. شُكْراً لكَ مرَّة أُخْرَى أيُّها الدُّلفينُ الصَّديق».

* * *

وصَلَتْ سَفِينَةُ القَراصِنَة إِلَى شاطِئِ خَليجٍ مُتعرِّجٍ، تكثُرُ فِيهِ الصُّخورُ الحادَّةُ تَحتَ سَطحِ الماءِ، مِمَّا يَمْنعُ أيَّ سَفينَةٍ مِنَ الاقْتِرابِ مِنْهُ، خَشْيةَ تَحطُّمِها. ولَكِنَّ القَراصِنةَ كانُوا يَعْرِفُونَ المَكانَ جَيِّداً، ويَحْفَظُونَ مَكانَ كُلِّ صَخْرَةٍ فِيهِ، فَيسْهلُ دُخولُهُمْ إِلَى الخَليجِ وخُروجهُمْ مِنْهُ بِواسِطَةِ طَريقٍ ضيِّقٍ خَفيٍّ لا تُوجَدُ صُخورٌ فِي قاعِهِ، فَتَعبُرُهُ سَفينَتهُمْ فِي أمانٍ.

وبِآلقربِ مِن الشَّاطِئِ قَلْعَةٌ ضَخْمةٌ لِلْقَراصِنَةِ، لَها أسْوارٌ كَبيرَةٌ مِنَ الصَّخْرِ، وأبْوابٌ مِنَ خشَبِ البلُّوطِ، يَسْتحيلُ
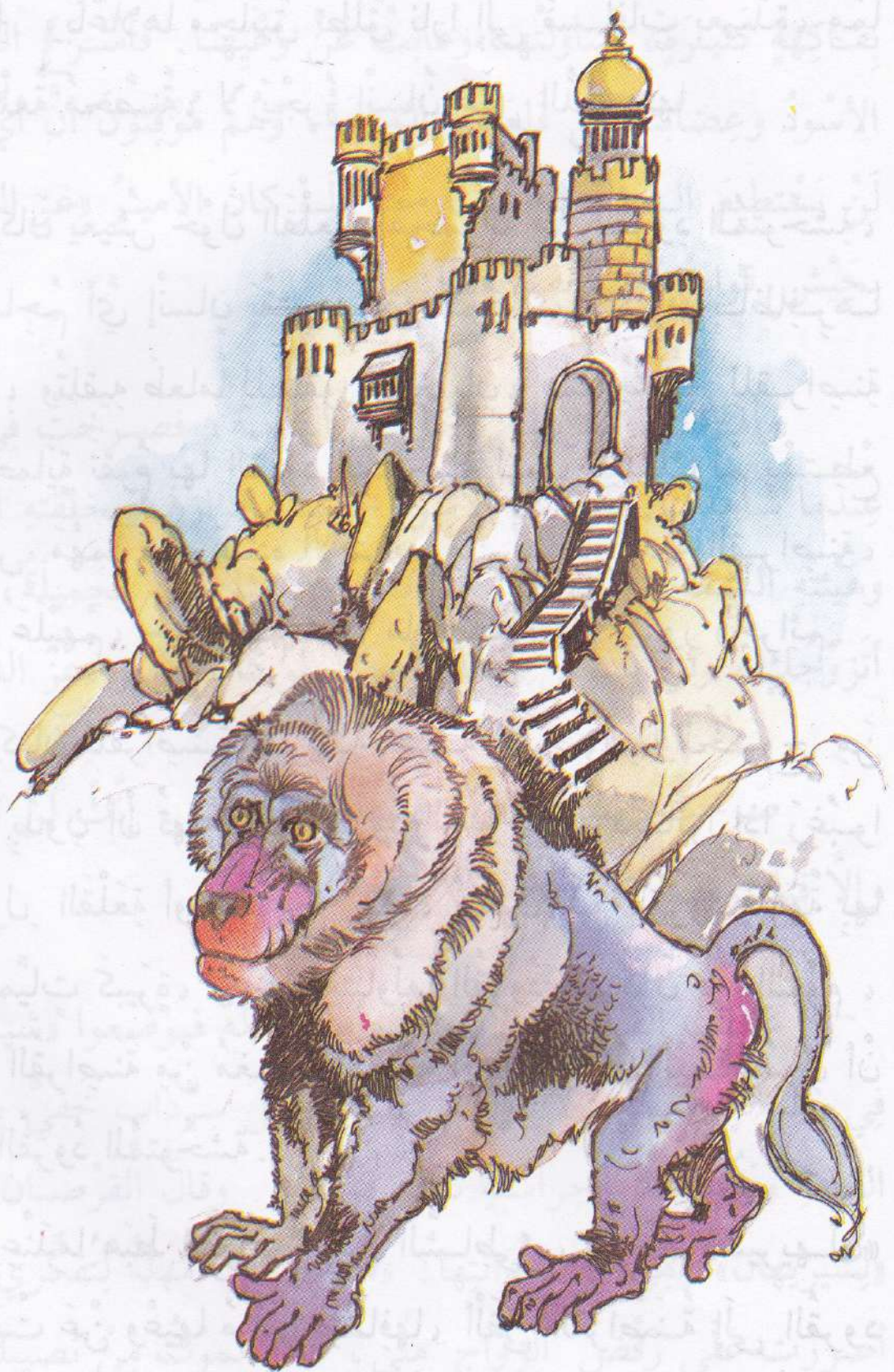
ٱخْتِراقُها. وبأعْلاها مَجانيقُ تطلقُ ناراً إِلَى مَسافاتٍ بَعيدَةٍ، مِمَّا جَعلَها قَلْعةً مُحصَّنةً، لا يَجرُؤُ إنْسانٌ عَلَى الدُّنوِّ مِنْها.

وكانَ يَعيشُ حَوْلَ القَلْعةِ، مَجْمُوعةٌ مِن القُرودِ المُتوحِّشةِ، الَّتي تُهاجِمُ أيَّ إنْسانٍ يَقْتَرِبُ مِنَ المَكانِ، فَتمزِّقهُ بِأَظافِرِها وأسْنانِها، وتُلقيهِ طَعاماً لِلصُّقورِ والغِرْبانِ، مِمَّا يُشَكِّلُ لِلقَراصِنةِ أفْضلَ حِمايَةٍ تَقومُ بِها القُرودُ المُتوحِّشةُ لَهُمْ، ولِذلِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أيُّ جَيْشٍ مَهْما كانَ عَددهُ الاقْترابَ مِنْ أسْوارِ قَلْعَةِ القَراصِنةِ، لِلقَبْضِ عَلَيْهِمْ، جَزاءً لَهُمْ عَلَى ما ٱرْتَكَبُوهُ مِنْ شُرورٍ وجَرائِم.

وكانَ لِلقراصِنَةِ طَريقَةٌ خَبيثَةٌ لِلدُّخولِ والخُروجِ مِنَ القَلْعَةِ، بِدُونِ أنْ تُهاجِمَهمُ القُرودُ المُتَوَحِّشة. فَكانُوا إذا رَغبُوا فِي دُخولِ القَلْعَةِ أو الخُروجِ مِنْها، يُلقونَ إِلَى القُرودِ فاكِهَةً بِها مُنوِّمٌ بكمياتٍ كَبيرَةٍ، وعِنْدَما يَتناولُها القُرودُ يغرقُونَ فِي النَّوْمِ، فَيَتمكَّنُ القَراصِنَةُ مِنْ مُغادَرةِ القَلْعةِ أو الدُّخولِ إلَيْها بِدُونِ أنْ تؤذيَهُم القُرودُ المُتوحِّشة.

وعِنْدَما هبَطَ القَراصِنَةُ إِلَى الشَّاطِئِ، ومَعَهُمْ «شيريهان» الَّتي غابَتْ عَنْ وعْيِها مُنْذُ ٱخْتِطافِها، ألْقَى القَراصِنَةُ إِلَى القُرودِ

بِفـاكِهةٍ كَثيـرَةٍ، فَتناولَتْهـا وغابَتْ عَنْ وَعْيِهـا. فأسْـرَعَ القُرْصـانُ الأسْودُ وعِصابتهُ إِلَى قَلعَتهمُ المَنِيعَةِ، وهُمْ مُوقِنونَ أنَّ أيَّ إنْسانٍ لَنْ يَسْتطيعَ الـوُصولَ إِلَيْهِمْ، حتَّى لَـوْ كانَ الأميـرُ «عز الـدِّين»، بِجَيْشٍ قِوامهُ أَلْفُ ألفِ مُقاتِلٍ.

وأفـاقَتْ «شيريهـان» داخِـلَ القَلْعـةِ، فَصـرخَتْ فِي رُعْبٍ عِنْدَما شاهَدتِ القُرْصانَ الأسْودَ جالِساً بِجوارِهـا بِخلقَتهِ القَبيحَـةِ وهَيْئتهِ البَشِعَةِ، وقالَ لَها: «لا تَخْشَيْ شَيْئاً أيَّتُها الجَميلَةُ، فَسَوْفَ أتَزوَّجُكِ، ولَنْ يَمْنَعني إنْسانٌ، حتَّى لَوْ كانَ الأميرَ «عزّ الدِّين»».

صَرخَتْ «شيريهـان»: «أيُّها المُتَـوحِّشُ، إنَّكَ لَنْ تَلمسَني وإلاَّ قَتلْتُ نَفْسِي».

غَضِبَ القُرْصانُ الأسْودُ، وأمرَ رِجالَهُ فَـوضَعوا «شيـريهان» فِي زِنْـزانَةٍ ضيِّقَـةٍ، لا نَوافِـذَ لَها، داخِـلَ سِرْدابٍ خَفيٍّ بِـأَسْفلِ القَلْعةِ ويَقُومُ عَلَى حِراسَتهِ ثلاثَةُ قَراصِنَةٍ. وقالَ القُرْصـانُ الأسْودُ «لِشيريهان» وهِيَ فِي زِنْزانَتِها: «سـأُعْطيـكِ مُهلةً لِتُفكِّري، فـإنْ أصررْتِ عَلَى رَفْضِ الزوّاجِ مِنِّي، كانَ المَوْتُ مِنْ نَصيبِك».

فأَجْهشَتْ «شيريهـان» بآلبُكـاءِ، وهِيَ لا تَدْري مـا تَفْعلهُ، وزادَ بكاؤها عِنْدَما تذكَّرتْ أخـاها «حَسَن»، وظنَّتـهُ قَدْ غـرقَ مَعَ الباقين.

* * *

وصلَ «حَسَن» إِلَى شاطِئِ قَلْعةِ القَراصِنَةِ وقْتَ الغُروبِ، وآخْتفَى الدُّلفينُ الَّذي أوصَلَهُ إِلَى المَكانِ وعادَ إِلَى البَحْر.

وآقْتـربَ «حَسن» محاذِراً مِنَ الشَّـاطِئِ ، وشـاهَـدَ القَلْعـةَ الحَصينَةَ، فَعرفَ أنَّ القَراصِنةَ يَحْتَمون فِيها، ويَسْتحيلُ عَلَى أيِّ إنْسانٍ الاقْتِرابُ مِنْها. ثُمَّ شاهَدَ القُرودَ المُتوحِّشةَ، وهِيَ تتقـاتَلُ مَـع بَعْضِهـا البَعْض فِي تَـوحُّش، بَعْـدَ أنْ أفـاقَتْ مِنَ المُنـوِّم ، فَتراجَعَ «حَسن» خشيةَ أن تَراهُ القُرودُ فتمزِّقَهُ بِأظـافِرِهـا وأسْنانِهـا الرَّهيبَةِ، وراقَبَ القُرودَ فِي قِتالِهـا الوحْشيِّ، وشـاهَدَ عَـدداً مِنْها يَسْقُطُ صَرِيعاً.

وعِنْدَما حـلَّ اللَّيْلُ تَـوارَى «حَسَن» فِي الظَّلام ، وآقْتـربَ مِنْ أحـدِ القُرودِ القَتيلَةِ، فـأخْرجَ سَكينَـهُ الَّتي كانَ يَحْتفِظُ بِهـا، وآنْتـزَعَ جلدَ القردِ الميِّتِ فِي مَهـارَةٍ، ثُمَّ آسْتترَ بِـهِ، وسارَ عَلَى أرْبعٍ كأنّه أحَدُ القُرود.

وكـانَتِ القُرودُ مُتْعبـةً مِن كثْـرَةِ قَتـالِهـا، فَتـركَتْ «حَسَن» وشـأْنَهُ، ولَمْ يُحـاوِلْ أحَدُهـا آعْتِراضَـهُ، كَما أنّهـا آطْمأنَّتْ إلَيْـه وظَنَّته واحِداً مِنْها.

إقْترَبَ «حَسَن» مِنْ أسْوارِ القَلْعَةِ الحَصينَةِ، وكانَ يَسْتحيلُ عَلَيْه دُخولُهـا مِنْ أيِّ فُرْجـةٍ، فأبْـوابُها مُصفَّحـةٌ ونَوافِـذُها عـالِيَةٌ وأسْوارُها لا يُمْكنُ آخْتِراقُها.

ودارَ «حَسن» حَوْلَ القَلْعَةِ فَشاهَدَ عَدداً مِنَ الأحْجارِ النَّاتِئةِ فِي جِـدارِها، وَكـانَ ماهِـراً فِي التَّسلُّقِ فألْقَى جِلدَ القِـردِ عَنْـهُ، وتَسلَّقَ الأحْجـارَ النَّاتِئـةَ حتَّى وصَـلَ إلَى نِهـايَـةِ الأسْـوارِ، فَقفـزَ داخِلَ القَلْعةِ، ولَمْ يكُنْ بِها أحَدٌ لِلْحِـراسَةِ، فَقَـدْ كانَ القَـراصِنَةُ آمِنِينَ إلَى آسْتِحَالَةِ وُصُول إنْسَانٍ وَتَسَلُّقِ الأَسْوَارِ.

وهَبطَ «حَسن» مُحاذِراً إلَى داخِلِ القَلْعةِ، فَسمِعَ أصْـواتَ القَراصِنَةِ وهُمْ يأْكُلونَ ويَشْربُونَ فِي سُرورٍ، ثمَّ سَمِعهُمْ يَتَحدَّثُونَ عَنْ رفْضِ «شيـريهـان» الـزّواجَ مِنْ زعيمِهمْ، وكَيْفَ سَجنَهـا القُـرْصـانُ الأسْـودُ فِي حُجْـرَةٍ لا نَـوافِـذَ لَهـا فِي سِـرْدابٍ خَفيٍّ بِأسْفَلِ القَلْعَةِ. كَما شاهَدَ بَعْضَ القَراصِنَةِ يَحْقِنُونَ كَميَّةً كبيـرَةً

مِنَ الفاكِهَةِ بِٱلْمنوِّمِ ، ٱسْتِعْداداً لإلقائِهـا إِلَى القُرودِ المُتـوحِّشةِ ، لِيَتَمَكَّنَ القَراصِنَةُ مِنَ الذَّهابِ لِسَفينَتِهِمْ ، وجَلْبِ ما ٱسْتَولُوا عَلَيْه إِلَى القَلْعَة .

واصَلَ «حَسن» تَسلُّلَهُ داخِلَ القَلْعـةِ ، وكانَ يـأملُ أنْ يَعْثـرَ عَلَى السِّرْدابِ الَّذي تُوجَدُ فِيهِ أختهُ ، فَيَتمكَّنَ مِنْ إخْراجِها مِنْـهُ ، والهَربِ مَعَها .

وشـاهَدَ «حَسَن» أحـدَ القَراصِنـةِ ، يَحْمِلُ بَعْضَ الفـاكِهَـةِ والطَّعامِ وهُوَ يَقولُ لِزُملائِهِ : «سَأَحْمِلُ هَذا الطَّعامَ إِلَى السَّجينَةِ ، فَهَذِهِ هِيَ أوامِرُ الزَّعيم» .

إِخْتَفى «حَسَن» كَيْ لا يَـراهُ القُـرْصـانُ ، وتَسلَّلَ خَلْفَـهُ بِخِفَّةٍ . وهبطَ القُرْصانُ إِلَى السِّرْدابِ الَّـذي كانَ يُؤدِّي إِلَيْـهِ بابٌ خَفِيٌّ فِي جِدارِ القَلْعة .

وتَوقَّفَ القُرْصانُ أمامَ زِنْزانةِ «شيريهان» ، وأعْطَى الحُرَّاسَ الثَّـلاثةَ الـطَّعامَ ، فَفتـحَ أحدُهُمْ بـابَ الزِنْـزانَـةِ ووضَـعَ الـطَّعـامَ بِداخِلِها ثُمَّ غادَرَها وأعادَ إغْلاقَها .
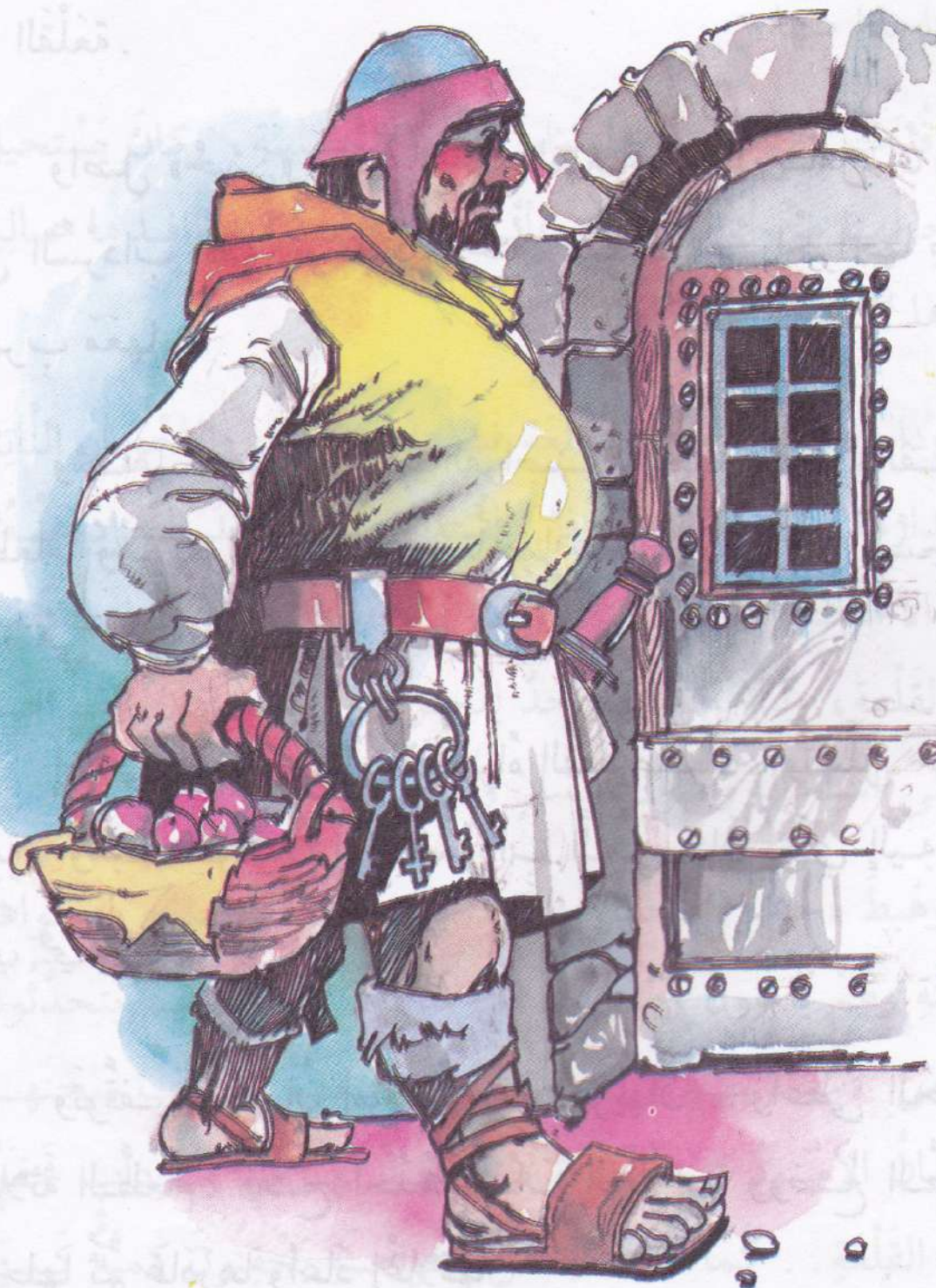
تنفَّسَ «حَسن» فِي ٱرْتِيـاحٍ بَعْـدَ أنْ عَـرفَ مكَـانَ أُخْتـهِ، وفكَّرَ فِي حِيلَةٍ يَتغلَّبُ بِها عَلَى الحُرّاسِ الثّلاثـةِ، ويَحصلُ مِنْهمْ عَلَى مَفاتيحِ الزِّنْزانَة.

ألْقَى «حَسن» بِحَصـاةٍ صَغيرَةٍ داخِـلِ السِّرْدابِ فـأصـابَتْ وجْهَ أحدِ الحُرّاسِ الثَّلاثةِ، فَركِبَـه الغَضَبُ وقالَ: «مِنْ أيْنَ أتَتْ هَـذِهِ الحَصاةُ؟» وغـادَرَ مَكـانَـهُ، وٱقْتـرَبَ مِنْ نِهـايَـةِ السِّـرْدابِ المُظْلمِ، وفَجْأةً قفزَ فَوقَـهُ «حَسن» وهُوَ مُمْسِـكٌ بِمطرقـةٍ ثَقيلَةٍ، فخَبطَ بِها رأسَ الحارِسِ بِقُـوَّةٍ، فَسقَطَ الحارِسُ فـاقِدَ الـوَعْي. وجَـرَّه «حَسَن» إلَى أحَدِ الأرْكـانِ، وألْقَى حَصاةً أُخْـرَى أصـابَتِ الحـارِسَ الثَّاني، فَتعجَّبَ وقـالَ: «مِنْ أيْنَ يأْتي هَـذا الحَصَى، ومَنِ الَّذي يُلقيهِ هُنا؟» وٱقْترَبَ مِنْ مَكانِ زَميلِهِ، فأصابَهُ نَفسُ مـا أصابَ الحارِسَ الأولَ، ومدَّدهُ «حَسن» قَريباً مِنْ رَفيقه.

وكانَ الحارِسُ الثَّـالِثُ جالِسـاً مَشْغولاً بِـٱلْتِهامِ الـطَّعامِ، وهُوَ يَدْعُو زَميلَيْه لِيأْتِيا ويُشارِكاهُ، فـٱقْترَبَ «حَسَن» مِنْـهُ مُحاذِراً، وقَبْلَ أنْ يَهْوِيَ بِٱلْمِطْرقـةِ فَوقَ رأسِ الحـارِسِ إصْطَدمَتْ قَـدمُهُ بِٱلمنضَدةِ، فٱلْتفَتَ الحارِسُ مُنْدَهِشاً، وتَحاشَى ضربَةَ «حَسن»،

ثُمّ قفزَ نَحوَهُ وأمْسكَهُ مِنْ رَقبتِهِ فِي قَسْوَةٍ، وأخذَ يَضْغَطُ عَلَيْها بِشِدَّةٍ، فأحسَّ «حَسن» أنّه يكادُ يَختنِق.

صوَّبَ «حَسَن» بِقدمِهِ ضَربَةً قَويّةً إلَى ساقِ القُرْصانِ، فَصرَخَ القُرْصانُ وأفْلتَ رقْبَةَ «حَسَن» وٱنْحنى لِيُمْسِكَ بِقدَمِهِ مُتألِّماً، وٱنْتَهزَ «حَسَن» الفُرصَةَ وٱخْتطفَ المِطْرقَةَ وخَبطَ بِها القُرْصانَ فَوقَ رأسِهِ، فَجَحظَتْ عَيْناهُ، وسقَطَ فاقِدَ الوَعْي.

دسَّ «حَسَن» يَدَه فِي جَيْبِ القُرْصانِ بَحْثاً عَنْ مَفاتيحِ الزِّنْزانةِ فَعَثَرَ عَلَيْها، وفَتحَ بابَها فَشاهَدَ أُختَهُ بِداخِلِها وهِيَ تَبْكي، وقدْ أخْفَت وجْهَها بِيَدَيْها، بِدُونِ أن تأكلَ أو تَشْرب.

ولَمْ تُصدِّقْ «شيريهان» عَيْنَيْها عِنْدَما شاهَدتْ أخاها، وظنَّت نَفْسَها فِي حُلمٍ بعْدَ ٱعْتِقادِها أنّهُ مات. ولَكنَّ «حَسَن» قصَّ عَلَيْها كَيْفَ أنقذَهُ الدُّلفينُ مِنَ الغَرقِ، وكَيفَ تَمكَّنَ مِنَ الوُصولِ إلَى قَلْعَةِ القَراصِنَةِ ودُخولِها والتغلُّبِ عَلَى حُراسِ الزَنْزانة.

هَتفتْ «شيريهان» بِسُرورٍ: «الحَمدُ لله».

قـالَ «حسَنٌ» : «دَعينا نُغـادِرْ القَلْعـةَ فِي الحَـالِ ، ونَنتهِـزْ فُرصةَ ٱنْشِغالِ القَراصِنَةِ بٱلطَّعامِ والشَّرابِ قَبْلَ أنْ يَنْتَبِهوا إِلَى ما حَدث» .

وقَبْـلَ أنْ يَتحرَّكَ مَـع أُخْتِه نَحْـوَ بابِ الـزِّنْـزانـةِ إنْغلَقَ فِي وَجْهَيْهِما بِعُنْفٍ، وأطلَّ عَلَيْهما القُرْصـانُ الأسْودُ بِـوجْهِهِ القَبيـحِ مِنْ كـوةٍ صَغيـرَةٍ، وقـالَ لِحَسَن سـاخِـراً: «يَبْـدُو أَنَّني جِئْتُ فِي الوَقْتِ المُناسبِ أيُّها الصَّبِيُّ لِأَقْطعَ عَلَيكُما طَريقَ الهَربِ، فأنْتَ بِـرغْمِ سِنِّكَ الصَّغيـرَةِ واسِـعُ الحِيلَةِ شَـديـدُ المَكْـرِ. . وسَـوْفَ أتركُكما داخِـلَ هَذِهِ الـزِّنْزانـةِ بِلاَ طَعـامٍ ولا شَرابٍ حتَّى تُـوافِقَ أُختُكَ عَلَى زَواجِها مِنِّي ، فإمَّا أنْ أتزوجَها، أوْ أتـركُكما تَمـوتانِ جُوعاً وعَطَشاً» .

وٱبْتعَدَ القُرْصـانُ الأسْودُ، وٱنْفَجـرتْ «شيريهـان» باكِيَـةً ، ورَكِبَ الغَضَبُ «حسن» فصاحَ : «أيُّها القُرْصانُ الجَبانُ المُجْرِمُ . . دَعْنا نَخْرجْ مِنْ هُنا» .

ولَكِنْ، لَمْ يَجاوبهُ غَيرُ صَدَى صَوْتِهِ، فِي الزِّنْزانَةِ الضيِّقة .

* * *

مَـرَّتْ أيّـامٌ عَـديـدَةٌ، و«حَسَن» وأُختـهُ مَحْبُـوسـانِ داخِـلَ الزِّنْزانَةِ بِلا طَعامٍ أو شَرابٍ، حتَّى أصـابَهُما الهُـزالُ والضَّعْفُ، وقالَتْ «شيريهان» فِي وَهنٍ: «لا فائِدَةَ يا أخي العَزيزُ. . إنَّ هَـذا القُـرْصانَ المُجْـرِمَ قاسي القَلْبِ، وسَـوْفَ يَدعنـا نَمـوتُ جُـوعـاً وعَطَشاً».

قـالَ «حَسن» بِتصميمٍ: «لَنْ أترِكَ هَـذا القُرْصـانَ المُجْرِمَ يَتزوجُكِ ولَوْ كانَ الثَّمَنُ حَياتَنا. . لَقَـدْ وَعدْتُ والِـدِي بِحمايَتـكِ وسأظَلُّ أحْميكِ إلَى أنْ أموت».

سَكَتَتْ «شيـريهان» حَـزينَةً ثمَّ قـالَتْ: «لَـوْ كـانَ خَـطيبي الأميرُ «عز الدِّين» يَعْرِفُ أننا مَسْجونـانِ هُنا لأتى بِجَيْشٍ عَـظيمٍ لإنْقاذِنا».

قالَ «حَسن»: «وكَيْفَ سَيَعْرِفُ، لا بُـدَّ أنّهُ سَيـظُنُّ أنّنا قَـدْ غَرِقْنا مَـع بَقيَّةِ رُكّـابِ السَّفينَةِ، ولَنْ يَعْـرِفَ إنْسانٌ أنّنـا أحْياءٌ فِي هَذا المَكانِ. . وإذَا أردنا النَّجاةَ مِمّا نَحنُ فيهِ، فَعَلَيْنـا أن نَعْتمِدَ عَلَى أنْفسِنا».

قالَتْ «شيريهان» حَزينَةً: «وماذَا بـإمْكانِنـا أنْ نَفْعلَ، إنَّهُمْ كثْرَةٌ وهُمْ مُتوحِّشونَ، ولَنْ يُمكِنَنا مُقاومتهُمْ طَوِيلاً».

تـألَّقَتْ عَيْنا «حَسَن» وقـالَ: «إنْ كُنَّا لا نَسْتـطيعُ مُـواجَهـةَ هؤلاءِ الأشْرارِ بِٱلقوَّةِ، فَلْنُواجِهْهُمْ بِٱلحِيلَة».

سألَتهُ أُختهُ: «كَيْفَ ذَلِكَ؟»

أجـابَهـا «حَسَن»: «لَقـدْ طَـرأتْ فِي ذِهْني فِكْـرَةٌ رائِعَـةٌ، سَوْفَ نَخْدَعُ القُرْصانَ الأسْـودَ ونُخْبِرهُ بِأَنَّكَ وافقْتِ عَلَى زَواجِكِ مِنْـهُ، فَيفرحُ عنَّـا، ولا بُدَّ أنّـه سَيُقيمُ حَفلاً كَبيـراً لِعِصابَتـهِ بِهَذِهِ المُناسبَةِ، فَيأكُلونَ ويَشْرَبُونَ حتَّى الصَّباحِ، فإذَا أمْكَنَنا أنْ نَضعَ مُنوِّماً فِي طَعامِهِمْ، مِمَّا يَضعونَهُ لِلقردَةِ المُتوحِّشةِ، فَسوْفَ يغـرقُ الجَميعُ فِي النَّومِ، فَيمكِنُنا الهرَبُ مِنَ القَلْعَة».

فَسألتْهُ «شيـريهان»: «وكَيْفَ سنَستـطيعُ وضْـعَ المنوِّمِ فِي الطَّعامِ لِهَؤُلاءِ القَراصِنَةِ؟» أجابَها «حَسَن»: «دَعِي ذَلِكَ لِي».

ونادَى بِأعْلَى صَوْتهِ يَـطْلبُ القُرْصـانَ الأسْودَ، فَجـاءَهُ بَعْدَ قَليلٍ، فأخْبَرَهُ «حَسن» أن أختَهُ وافقَتْ عَلى الزَّواجِ مِنْهُ، فَفـرِحَ القُرْصانُ الأسْودُ، وأمرَ رِجالَهُ فَأخْرَجُوا «حَسَن» و«شيريهـان» مِنَ الزِّنْزانةِ، وأخَذُوهما إلَى حُجْرةٍ فاخِرَةٍ إسْتِعْداداً لِلزواج.

وطَلبَ القُرْصانُ الأسْودُ مِنْ رِجالِهِ إقامةَ حَفْلٍ كبيرٍ، يُقدِّمُ فِيهِ كُلَّ أنْواعِ الطَّعامِ والشَّرابِ، إبْتِهاجاً بِٱلزَّواج. فتسلَّلَ «حَسن» إلَى المطْبَخِ وٱسْتَولَى عَلى زُجاجةِ المُنوِّمِ الكَبيرَةِ، وغافَلَ القَراصِنةَ المُكلَّفينَ بِتَجْهيزِ الطَّعامِ، وأفْرَغَ المُنوِّمَ بداخِلِ قُدورِ الطَّعام.

وبَعْدَ وَقْتٍ نَضُجَ الطَّعامُ، وبَدأَ القَراصِنَةُ يأْكُلونَ في نهمٍ، وأخذَتْ «شيريهان» تُغْرِي القُرْصانَ الأسْودَ بِٱلطَّعامِ، وهِيَ تتصنَّعُ الابْتِسامَ، فأكلَ حتَّى شبِعَ، ثمَّ شَعرَ بثقلٍ فِي عَيْنيهِ، وبأنَّ الدُّنْيا تَغيبُ عَنْهُ. ففهِمَ الخَديعَةَ الَّتي جازَتْ عَلَيْهِ، وحاوَلَ النُّهوضَ والقَبضَ عَلَى «شيريهان»، ولَكِنَّهُ سَقطَ عَلَى الأرْضِ مخدَّراً. وأخذَ بَقيَّةُ القَراصِنَةِ يَسقُطونَ فاقِدِي الوَعي مخدَّرينَ واحِداً تِلْوَ الآخرِ، حتَّى لَمْ يعُدْ فيهِمْ واحِدٌ يَدْري ما يَدُورُ حَوْلَهُ.

وٱنْتَهزَ «حَسَن» الفُرصةَ، فأَحْضرَ عَدداً كَبيراً مِنَ الحِبالِ، وقامَ بِتقيِّيدِ القَراصِنةِ واحِداً بعْدَ الآخرِ، ثُمَّ ألْقاهُمْ داخِلَ الزنزاناتِ الضيِّقَةِ فِي السّرداب.

وعِنْـدَما تمَّ لَـهُ ذَلِكَ، أضـاءَ وجهُـهُ بِـآلسَّعـادَةِ وهتفَ فِي سُرورٍ: «لَقدْ نَجَحْنا وقَبضْنا عَلَى كُلِّ القَراصِنَةِ».

قـالَتْ «شيـريهـان» فِي سُـرورٍ: «مـا أشْجعَـكَ يـا أخي الصَّغيرُ، لا أدْري ماذا كُنْتُ سأفْعَلُ بِدونِكَ».

ضَحِـكَ «حَسن» وقـالَ: «إنَّني أتـدرَّبُ حَتَّى أكـونَ أميـراً حِينَ أكْبرُ، والقبضُ عَلَى القراصِنَةِ وسَجْنُهِمْ أفضلُ تَـدْريبٍ لِمَنْ يُريدُ أن يُصبحِ أميراً!»

قـالَتْ «شيـريهـان» فِي قَلقٍ: «ولَكِنْ كَيْفَ سَنُغـادِرُ هَـذَا المَكانَ، فإنّنا نَجْهَلُ قِيادَةَ السُّفنِ، ولَنْ نَسْتطيعَ الإبْحارَ والعَـوْدَةَ إلَى بِلادِنا بِسَفينَـةِ القَراصِنَـةِ، فَلَيْستْ لَنا خِبـرَةٌ بِمَسالِـكِ البِحارِ وخَرائِطِها، ولا بِقيادَةِ السُّفُنِ وتَسيِّـيرِها».

أصابَ الحُزْنُ قَلْبَ «حَسَن» وقالَ لِأُخْتِهِ مَهْمـوماً: «مَعَـكِ حَقٌّ يا أُخْتي العَزيـزَةُ.. سَوْفَ نَبْقَى سَجينَيْنِ فِي هَـذا المَكانِ، ولَنْ نَتمكَّنَ مِنْ مُغادرتِهِ».

تَبلَّلتْ عَيْنـا «شيريهـان» بآلـدُّموعِ، وصَعـدَتْ إلَى سَطْحِ القَلْعَةِ، وكانَ الصَّباحُ يُوشِكُ عَلَى البُزوغِ، فَشـاهَدَتْ فِي الأُفُقِ

البَعيـدِ أشْرِعـةَ سُفنٍ عَديـدَةٍ، وهِيَ تعبـرُ الخَليـجَ مُتَّجِهـةً نَحْـوَ الشَّـاطِئِ ، فَتعرَّفَتْ عَلَيْهـا وصاحَتْ غَيـرَ مُصدِّقـةٍ: «إنّهـا سُفنُ الأميـرِ «عز الـدِّين» . كَيْفَ وصَلَتْ إلَى مَكانِنـا، ومَنْ أرْشَدَهـا إلَيْنا؟»

ولَمْ يُصـدِّقْ «حَسَن» عَيْنَيهِ عِنْـدَمـا شـاهَـدَ السُّفُنَ، وقـالَ لأُخْتهِ: «يَجِبُ أنْ نُنوِّمَ القُرودَ المُتوحِّشةَ، حتَّى لا تُهاجِمَ الأميـرَ ورِجـالَهُ عِنْـدَ هُبوطِهِمْ عَلَى الشَّـاطِئِ . وأحْضرَ كَميّـةً كَبيرَةً مِنَ الفاكِهَةِ المَوجُودَةِ داخِلَ القَلْعةِ، وحَقَنَها بِالْمنوِّمِ ، ثُمَّ ألْقاهـا مِنْ فوقِ أسْوارِ القَلْعةِ، فأسْرعتِ القُرودُ بـالْتِقاطِهـا والتِهامِهـا، وبَعْدَ قَليلٍ غَرِقَتْ فِي سُباتٍ عَميقٍ.

غـادَرَ «حَسَن» وأُخْتهُ القَلْعـةَ، وأسْـرَعـا نَحْـوَ الشَّـاطِئِ ، وعِنْدَما شاهَدهُما الأميرُ «عز الدِّين» لَمْ يُصـدِّقْ عَيْنَيهِ بِنجـاتِهِما، فقصَّ عَلَيْهِ «حسن» كُلَّ ما جَرَى لَهُما، وكَيْفَ تَمكَّنَ مِنَ التغلُّبِ عَلَى القَراصِنَةِ وسَجْنِهِمْ، فَنظَرَ إلَيْهِ الأميـرُ بِإعْجـابٍ شَديـدٍ وقالَ لَهُ: «يا لَكَ مِنْ بَطَلٍ صَغير».

وسأَلَتْ «شيريهان» خَطيبَها الأمير كَيْفَ ٱهْتدَى إِلَى مَكانِها بِهَذِهِ السُّرْعَةِ فأَجابَها: «بَعْدَ أنْ رَحْلتُ عَنْ مَدينَتِكُمْ بـأُسْبوعَيْنِ، رَاودَني القَلقُ عَلْيـكِ، فأَمَـرْتُ رِجالي بِـٱلْعَودَةِ حتَّى أكُـونَ مَعكِ فِي سَفـرِكِ، ولَكِنَّني وَصَلْتُ مُتأَخِّـراً، بَعْدَ أن رحلَتْ سَفينَتُـكِ، فأسْرَعْتُ خَلْفَكُمْ مُحاوِلاً اللَّحاقَ بِكُمْ. وفِي وسَطِ البَحْرِ إِلتَقطْنـا أحدَ بَحَّارَتِنا مِمَّنْ كانُوا فِي سَفينَتِكِ، وكانَ مُتعلِّقاً بِخَشبـةٍ طافِيَـةٍ بَعْدَ غَرقِ السَّفينَةِ فأخبرَنا بِمـا جَرَى، وأرْشَـدَنا إِلَى ٱتِّجـاهِ سَفينَةِ القَراصِنَةِ، فـأَسْرَعنـا إِلَى هُنا، وكُـدْنا نَهلكُ وتَتحـطَّمُ سُفُننا بَيْنَ صُخُورِ هَذا الخَليجِ القاسِيَةِ، لَوْلَا دُلفِينٌ صَغيرٌ أرْشدَنا إِلَى عُبورِ الخَليجِ ، مِنَ المَكانِ الَّذي تَنْعدِمُ فِيهِ الصُّخور».

ضَحِـكَ «حَسَن» وقالَ: «يـا لِهَذا الـدُّلفينُ الصَّـديقُ، إنَّـهُ يُقدِّمُ خَدماتِهِ فِي الوَقْتِ المُناسِبِ لِكُلِّ منْ يَحْتاجُها».

وأسْـرَعَ جُنـودُ الأميـرِ فَقبَضـوا عَلَى القُـرْصـانِ الأسْـودِ وعِصابَتِهِ، وساقُوهُمْ إِلَى السُّفُنِ مُقيدين، لَتجرِي مُحاكمتُهُمْ فِي بِلادِ الأميرِ «عز الدِّين».

ورَفعتْ سُفنُ الأميـرِ مَـراسيَهـا، وٱنْـطَلقَتْ مُبْحِـرَةً إِلَى الشَّمـالِ . . وكانَ فِي ودَاعِهـا الدُّلفينُ الصَّغيـرُ صَديقُ «حَسَن»، بَعْدَ أن أرْشَدها مرَّةً أُخْرَى إِلَى طَرِيقِ الخُروجِ مِنَ الخَليج .

وأطْلقَ الـدُّلفينُ الصَّغيرُ صَيْحـاتٍ حادَّةً مـودِّعـةً، بَعْـدَ أنِ ٱجْتـازتِ السُّفنُ مَنطقـةَ الصُّخورِ الحـادَّةِ، ثـمَّ غابَ فِي البَحْـرِ، بَعْدَ أن ٱطْمأنَّ إِلَى أنّهُ أدَّى عَملهُ عَلى أكْملِ وجْهٍ.

* * *

البطل الصغير

أسئلـــة:

١ ـ من هي شيريهان وإلى من كان أبوها يوّد تزويجها؟

٢ ـ أين توجَّه القرصان بعد أن رفض التاجر تزويجه ابنته؟

٣ ـ ماذا حصل لسفينة الأمير عند مغادرتها الشاطىء وعلى متنها شيريهان وأخوها؟

٤ ـ ما كان مصير حسن عند غرق السفينة؟

٥ ـ ما هي الحيلة التي اهتدى إليها حسن للخلاص من السجن؟

٦ ـ أوجز نهاية القصة وخلاص السجينَيْن.

اشـــرح الكلمات التالية:

متن السفينة ـ رجاحة ـ ابتاع ـ الخلجان ـ طرأت لي فكرة.

إعـــراب:

ـ ساقوهم إلى السُفُنِ مقيَّدين لتجريَ محاكمتُهم في بلادِ الأميرِ.

هذه السلسلة تتضمن :

١ ـ القصر المسحور
٢ ـ الفارس العظيم
٣ ـ القرصان والبهلوان
٤ ـ نور والأميرة بدور
٥ ـ أميرة البحر الفضيّ
٦ ـ جنيَّة الأمنيات الطيبة
٧ ـ كهرمان والأمير بهاء الدين
٨ ـ الحصان السحري
٩ ـ جبل السحاب
١٠ ـ الفارس المقنع
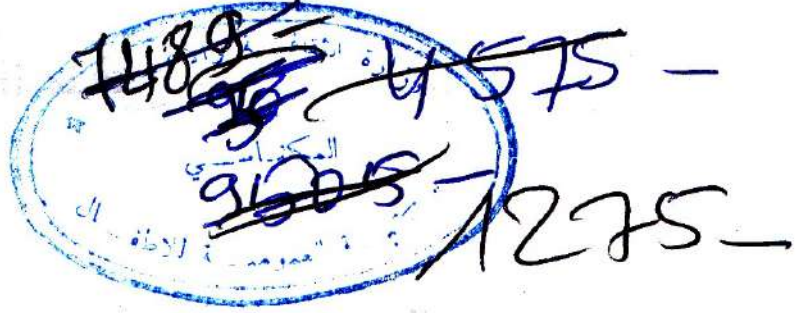
١١ ـ مغامرات عقلة الإصبع
١٢ ـ المرآة العجيبة
١٣ ـ الجوهرة الغالية
١٤ ـ البطل الصغير
١٥ ـ علاء الدين والحصان الطيّار
١٦ ـ الجزيرة المسحورة
١٧ ـ ذات الشعر الذهبي
١٨ ـ سعفان الجبار
١٩ ـ كنز الشاطر حسن
٢٠ ـ الحلم العجيب

مكتبة الطفل العربي

١٤

البطَلُ الصَّغير

● كان القرصانُ الأسودُ رجلاً دمويًّا شرِّيراً، مهنتُه السَّلبُ والنَّهبُ والقتلُ، وكانت «شيريهان» حَسناء بارِعة الجمالِ مخطوبةً للأمير عزِّ الدِّين وفي طريقها إليه للزَّواجِ منه. ولكنَّ القرصانَ الأسودَ تمكَّنَ من آختطافِها وحَبسَها داخلَ قلعةٍ رهيبةٍ يستحيلُ الهربُ منها.

ولمْ يكُنْ بِجوارِ «شيريهان» غير أخيها الصغير «حسن»، وكان عليه وحده إنقاذ أُخته وتخليصها من القراصنةِ الأشرارِ، وهو لا يمتلكُ أيَّ سلاحٍ، فكيف تمكّنَ البطلُ الصغيرُ مِن إنجازِ مُهمَّتِهِ؟

دار الجيل